

الحلقة التاسعة والعشرون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ماذا كان هدف الله من وضعه للشرائع والفرائض؟ وهل كان القصد هو خدمة الإنسان أم تكبيله بالفرائض والقوانين؟ في الإجابة عن هذه التساؤلات الهامة يتوقف فهمنا للكثير من الأمور. لأن هناك من يعتقد أن الله هو إله قاسٍ، ويفرض قوانينه الصارمة على الإنسان. فهل هذه هي الحقيقة عن الله؟ أم أن الله هو إله محب وكان هدفه من هذه الشرائع والفرائض التي وضعها هو لخدمة الإنسان وفائدته.

لشرح هذا الموضوع الهام، لا بد لنا أن نعود إلى حادثة جرت مع المخلص المسيح. ولقد دونها البشير متى كما يلي: «ثُمَّ انصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ وَجَاءَ إِلَى مَجْمَعِهِمْ (أي مجمع اليهود) وَإِذَا إِنْسَانٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ، فَسَأَلُوهُ (أي الفريسيون) قَائِلِينَ: «هَلْ يَحِلُّ الْإِبْرَاءُ فِي السُّبُوتِ؟» لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ. فَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ خَرْوفٌ وَاحِدٌ، فَإِنْ سَقَطَ هَذَا فِي السُّبُوتِ فِي حُفْرَةٍ، أَمَا يُمْسِكُهُ وَيُقِيمُهُ؟ فَالْإِنْسَانُ كَمْ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْخَرْوفِ! إِذَا يَحِلُّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي السُّبُوتِ!» ثُمَّ قَالَ لِلْإِنْسَانِ: «مُدَّ يَدَكَ». فَمَدَّهَا. فَعَادَتْ صَحِيحَةً كَالْأُخْرَى. فَلَمَّا خَرَجَ الْفَرِيسِيُّونَ تَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يَهْلِكُوهُ» (بشارة متى ١٢: ٩-١٤). لقد كشفت لنا هذه الحادثة عن بعض الحقائق الهامة سنأتي على شرحها.

مستمعي الكريم، لقد أراد الفريسيون وهم فرقة يهودية متزمتة أن يجربوا المخلص المسيح بسؤالهم له: ما إذا كان يحل عمل الشفاء في يوم السبت؟ وكان هدفهم الحقيقي هو لكي يشتكوا عليه، أي لكي يمسكوه بالجرم المشهود بحسب زعمهم، والذي هو مخالفة الشريعة الإلهية. لكن المسيح أجابهم مبيناً لهم مدى ابتعادهم عن حقيقة ما تهدف إليه الشريعة. وكانت قواعد حفظ يوم السبت تقول: أنه يمكن إبراء الناس في يوم السبت متى كانت حياتهم معرضة للخطر. ولهذا تساءل المسيح: «أَيُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ يَكُونُ لَهُ خَرْوفٌ وَاحِدٌ، فَإِنْ سَقَطَ هَذَا فِي السُّبُوتِ فِي حُفْرَةٍ، أَمَا يُمْسِكُهُ وَيُقِيمُهُ؟»

ولقد شفى المخلص المسيح مراراً في أيام السبت. ولكن لا يمكن اعتبار أي حالة منها بأنها كانت ضرورة ملحة، ولو انتظر المسيح لليوم التالي، لكان معنى ذلك خضوعه لسلطان الفريسيين. ولكن المسيح كشف لجميع السامعين بتساؤله عن الخروف الذي سقط في الحفرة، مدى ما في قواعدهم من سخريّة وتفاهة. فحقيقة الأمر أن الله هو إله الإنسان وليس إله الوصايا والشرائع. وأن الشرائع والوصايا إنما وجدت لخدمة الإنسان وليس العكس. وأن أفضل وقت لمساعدة الإنسان هو عندما يكون في حاجة إلى عون. ثم أفحم المسيح الفريسيين عندما قال: «فَالْإِنْسَانُ كَمْ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْخُرُوفِ! إِذَا يَحِلُّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي السَّبُوتِ!»

أجل إن الإنسان أفضل بكثير من الخروف. فإذا كان الفريسيون قد أجازوا رفع الخروف من الحفرة أيام السبت، فكم بالحري شفاء إنسان مريض أو له عاهة مستديمة، كهذا الرجل الذي كانت يده يابسة؟ أو ليس الإنسان أفضل بكثير من الخروف؟ لهذا أعلن المخلص المسيح: **إِذَنْ يَحِلُّ فِعْلُ الْخَيْرِ فِي السَّبُوتِ.**

وهنا توجّه المسيح للرجل الذي كانت يده يابسة وقال له: «مُدِّ يَدَكَ». فَمَدَّهَا. فَعَادَتْ صَحِيحَةً كَالْأُخْرَى». لكن عمل الشفاء أو الخير هذا وفي يوم السبت لم يُعجب بالطبع الفريسيين، لهذا أخذوا يتشاورون على المسيح ويتآمرون بقصد إهلاكه، لا سيما أنه فضح مواقفهم المتناقضة. حقاً ما أعجب الإنسان وما أغربه! فهو يتمسك في أحيان كثيرة بالقشور، ويترك الجوهر والمعنى الحقيقي للأمر. أو ليس هذا ما يفعله الكثيرون حتى يومنا هذا؟ لقد كان هدف الله منذ القديم من الوصايا والشرائع التي سنّها هو خدمة الإنسان، والاتيان به إليه. وأن يرحمه ويغدق عليه بالبركات والنعم الكثيرة، وليس العكس.

هل تعلم مستمعي أن المخلص المسيح بمجيئه قد حررنا من وصايا العهد القديم وشرائعه؟ قد يستغرب البعض هذا الأمر، ويتساءلون هل أصبح الإنسان اليوم بدون شريعة إلهية ووصايا عليه أن يسلك بموجبها؟ وللجواب نقول أولاً: إن المسيح بحياته قد أكمل ناموس العهد القديم ووصاياها بالنيابة عناً. وعندما مات على الصليب حمل لعنة الناموس أو الشريعة نيابة عناً أيضاً. لأنه بحسب الناموس إن خالف شخص وصية واحدة صار مجرمًا بالكل. وبما أنه لا أحد يستطيع أن يعمل بكل ما جاء في الناموس، فقد استحق الجميع الدينونة أو اللعنة. ولهذا نقول إن المسيح بموته عناً هذه الدينونة نيابة عناً.

اسمع صديقي ماذا كتب بولس رسول المسيحية: «لَأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ».. الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً

لأجلنا، لآنة مكتوب: «ملعون كل من علق على خشبة» (غلاطية ١٣، ٣: ١٠).

إن إن المسيح أخذ اللعنة عتًا. لكن ماذا عن الناموس ووصايا العهد القديم؟ أو أية شرائع أو وصايا وضعتها أديان أخرى؟ أولاً يجب علينا أن نتمسك بها ونطبقها حرفياً في حياتنا؟ نجيب إننا عندما نتوب عن خطايانا ونؤمن بعمل المسيح الكفاري من أجلنا على الصليب، نصبح بواسطة الروح القدس خليفة جديدة. أي يجدد الله قلوبنا وأفكارنا من الداخل. وليس هذا فحسب، بل يضع الله شريعته في قلوبنا. وعندها نستطيع أن نسلك بحسب شريعة الله وإرادته طوعاً واختياراً، وليس قسراً رغم إرادتنا.

وهذا هو ما عبّر عنه في القديم النبي إرميا عندما تنبأ عن العهد الجديد الذي سيقمه الله مع الإنسان بواسطة المسيح. فكتب قائلاً: «بَلْ هَذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقَطَعَهُ يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلَهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا.. لِأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلَا أَدْكُرُ خَطِيئَتَهُمْ بَعْدُ» (إرميا ٣٤، ٣١: ٣٣). ألا تود مستمعي أن تتحرر من سطوة الفرائض والوصايا؟ آمن إذن بالمخلص المسيح فتحصل على الخليفة الجديدة، وتستطيع عندها بالتالي أن تطبق من القلب ما يريد الله منك.